العمارة الدينية بمدينة الصويرة:

إرث عمراني متنوع

الدكتور حسن أتكتاو
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر اكادير
المغرب

تمهيد:

استقطبت السواحل المغربية تجمعات بشرية منذ القديم، نظرا لإمكانياتها الطبيعية (وفرة المياه، وجود تربة خصبة....) وموقعها الاستراتيجي الملائم (منطقة اتصال بين اليابس والبحار).

وتعتبر مدينة الصويرة من بين أهم هذه المواقع الساحلية، التي تمكنت بفضل موقعها الجغرافي من تأطير القبائل المجاورة لها والتحكم في المبادلات التجارية بالمغرب، وساهم تشييد الميناء بها من إعطائها مكانة إستراتيجية اقتصادية وسياسية مهمة، جعل منها صلة وصل بين شمال المغرب وجنوبه وكذا بعض دول العالم.

لهذا السبب عرفت تطورات مهمة طبعت سيرورة تاريخها العريق، فبعد أن كانت مجرد قصبة صغيرة، تحمل اسم قصبة موكادور، تحولت في ظرف وجيز إلى مدينة متوسطة.

وإذا كان علماء تاريخ الحضارة يعتمدون في معرفتهم لأحوال وعادات الأمم وما بلغته من تقدم ورقي، وما كان أهلها عليه في حياتهم ومعيشتهم اليومية، ومهاراتهم الصناعية والفنية، على ما تركته الأمم من تحف منقولة وثابتة، فإن مدينة الصويرة تملك من هذا التراث المعماري والفني ما يعد حقائق ثابتة تعتبر سجلاّ حافلا لما كانت عليه حياة قاطنيها من تقدم وازدهار.

فقد خلف لنا سكّانها الأوّلون عمائر مختلفة دينية ومدنية وعسكرية واجتماعية، إضافة إلى العديد من آثار الفنون التي بلغوا بها درجة الرقي والكمال، مثل فنون النحت والتصوير وصناعات المعادن والنسيج والخشب والزجاج.... إلخ.

يقتضي دراسة العمارة الدينية بمدينة الصويرة تشخيص الوضع الدي تعيشه هذه المعالم الدينية بأنواعها المختلفةاليهودية والاسلامية وكذا المسيحية والادوار الطلائعية التي لعبتها منذ زمن بعيد وما تمتاز به من مزايا اعطت للمدينة رونقا معماريا رائعا، مع الوقوف عن بعض الاكراهات التي تشكوا منها هذه المعالم وخاصة أنها بدأت تتعرض للاندثار والتآكل، هذا ما سنحاول الإحاطة به في هذه المداخلة، اعتمادا على طرح عدّة تساؤلات كلآتي:

- ما هي أسباب تأسيس مدينة الصويرة؟
- ما هي مراحل وأشكال توسعها؟
- ما هي أنواع المعالم الدينية التي تزخر بها هذه المدينة؟
- أي دور لهذه المعالم في تنظيم المجال الصويري؟

I.مدينة الصويرة: أية تطورات؟

1- مدينة الصويرة: الموقع والنشأة

1-1 الصويرة: موقع جغرافي متميز

تمتد مدينة الصويرة على ساحل المحيط الأطلسي، وتقع بين خط طول °31 و'47 شمالا وخط عرض °9 '46 جنوبا و"2 غربا، يحدها من الشمال جماعة أوناغا وجنوبا جماعة سيدي الكاوكي وشرقا جماعة اكرض، وغربا المحيط الأطلسي.

تتميز مدينة الصويرة بموقع استراتيجي متميز، يتوسط مجموعة من المدن إذ تقع المدينة مابين أسفي وأكادير على بعد 173 كلم على الطريق الرئيسية رقم 1، وعلى بعد 175 كلم من مدينة مراكش على الطريق الجهوية رقم207. كما تتجلى أهمية هذا الموقع أيضا في وجوده وسط الإقليم تقريبا (انظر الخريطة رقم 8)، تفصل بينه وبين باقي أجزائه مسافات متقاربة، مما أهل المدينة لتصبح عاصمة إقليمية، تساعد على تأطير المنطقة إداريا وأمنيا، وجعل منها قطبا حضريا في طور الإشعاع.

الخريطة رقم 1: موقع مدينة الصويرة داخل إقليمها

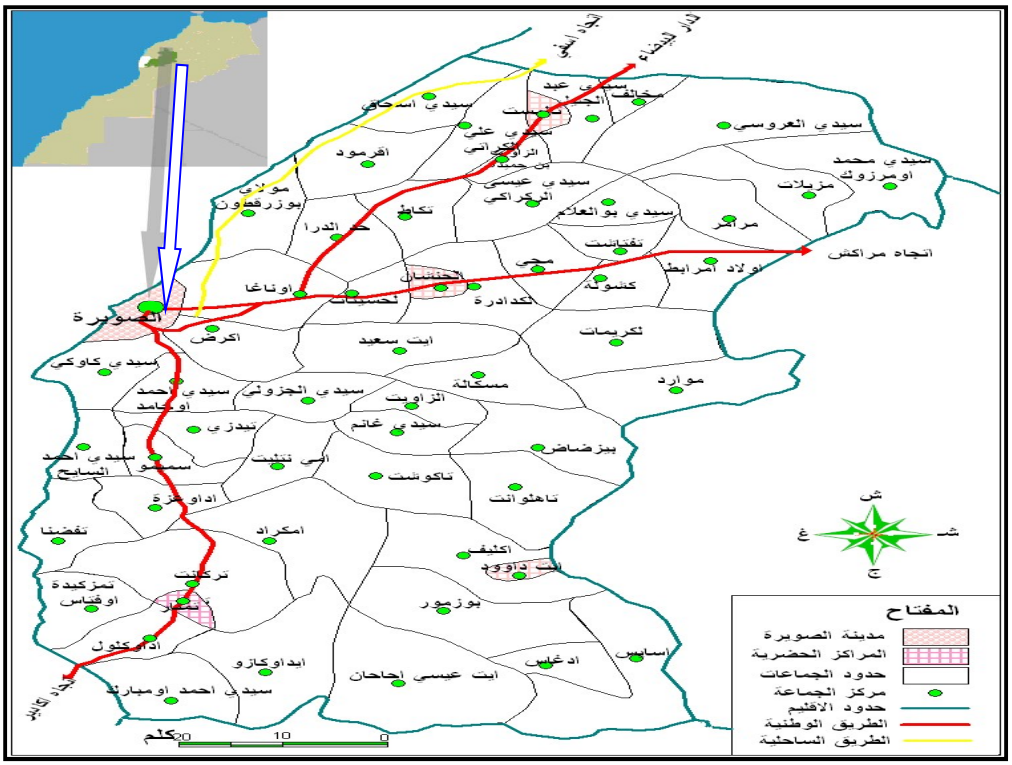

أما من الناحية الطبوغرافية، فتمثل مدينة الصويرة موضعا متميزا على طول الساحل الأطلنطي، فهي مشيدة فوق رأس قاري على شكل لسان صخري يمتد داخل عرض المحيط، وتتقدمه جزيرات انفصلت عنه، أكبرها وأهمها جزيرة (موكادور)، ويتميز هذا الرأس القاري من جهة بانخفاضه الطبوغرافي (ارتفاع يقل عن17.24[1] متر على مستوى سطح البحر)، وبمكوناته الجيولوجية الرملية المرتبطة من حيث النشأة بدينامية الإرسابالريحي الحديث والمشكلة لسلسلة من الأجراف تمتد من الشمال إلى الجنوب، الأمر الذي جعل المدينة تتخذ شكل شبه جزيرة. أما من الناحية الإثنية فتقع في مركز ثقل بين قبائل حاحا والشياظمة.

الصورة رقم1: تموضع المدينة بين البحر والغطاء الايكولوجي

1-2 الصويرة بين النشأة والتطور

رغم أهمية الكتابات التي تناولت موقع مدينة الصويرة، إلا أنه لا توجد دراسة مفصلة عن التاريخ العمراني للمدينة، باستثناء أطروحة الدكتوراه للأستاذة مينة لمغاري، وبذلك يبقى أصلها واسمها وموقعها موضوع عدة فرضيات، رغم قدمها بين مدن المغرب[2].

1-2-1 مدينة الصويرة: موقع واحد وأسماء متعددة

شهدت مدينة الصويرة تعاقب مراحل تاريخية مهمة، ساهمت في بلورة وتوالي مجموعة من الأسماء التي طبعت هذا الموقع، فتمت كتابتها بصيغ كثيرة ومتعددة، منها ما هو موثوق الدلالة ومنها ما هو موضوع نقاش وجدال بين الباحثين حتى اليوم[3].

- **تاموسيكا Thamusiga**: جمعت أغلب الدراسات على أن أول اسم أطلق على موقع المدينة: هو تاموسيكا أو تاموزيكا،[4]
- **كاريكونتيكوص5Teickos karikon**: فهذا الاسم يأتي للدلالة على أن المدينة شديدة للتحصين "المدينة الحصينية"،
- **أمكدولAmgdoul**: كان موقع الصويرة معروفا لدى الباحثين والمؤرخين قبل نشأة المدينة بلفظ أمكدول[6]، ويعني باللغة الأمازيغية البناء المحصن أو برج المراقبة،

كما ارتبط اسم امكدور عند سكان المدينة بالوالي الصالح 'سيدي مكدور'، (معناه ولي المكان المعروف بمكدول) فسقط لتبقى الصيغة الحالية راسخة في الذاكرة.

- **موكادورMougador**: تعني كلمة "Gadir"بالامازيغية الجدار الكبير، وذلك ما أكده المختار السوسي عندما كتب: "اكادير معناه الحصن، فهو البناء السور
- **الصويرة أو السويرة Essaouira**: عرفت المدينة تارة باسم السويرة موكادور، وأخرى باسم الصويرة وأحيانا يقترن الاسمان معا. إلى حدود سنة 1957[7]، حيث توحد اسم المدينة، ليستقر رسميا على الصويرة.

هكذا، يتضح من خلال ما سبق أن موقع مدينة الصويرة قد تعاقبت عليه أسماء مختلفة الرسم والنطق على امتداد عصورها التاريخية، غير أن تعدد الأسماء لا يخل بالمعنى الأصل "السويرة" أي السور الصغير أو المكان المحصن. ولا يعبر التحصين إلا على شكل خاص لهيكلتها، الذي سيكون له أثر عميق على نسيجها العمراني، فما هي إذن ظروف ظهور هذه المدينة؟

1-2-2 نشأة الصويرة كمدينة

يرجع ظهور ونشأة مدينة الصويرة إلى حقبة تاريخية قديمة، حيت كشفت الأبحاث الأثرية عن بقايا تدل على تعمير للموقع يعود على الأقل إلى العصر الحجري الحديث (600-2500 ق م[8])، وليس هذا من قبيل الصدف لان المنطقة بموقعها الجغرافي وبمجاورتها للبحر، وبفعل سهولة الوصول إليها وإمكانية الرسو في جزيرتها، جعلها محط أطماع الأجانب منذ العصور القديمة، حيث أنهم أدركوا مدى أهمية الموقع الاستراتيجي الذي تتميز به. الأمر الذي دفعهم إلى تشييد مجموعة من الحصون بها وعلى رأسهم حصن الكاستيليوريالcastelloreal أي الحصن الملكي.

ويمكن القول أن الموقع الحالي للمدينة لم يخرج من عدم:" ذلك لأن أمكدول وما أثارته من أطماع لدى الأوروبيين، شغلت بال السلطان سيدي محمد بين عبدالله الذي قصد بدوره سد الطريق على خصومه بالجنوب...وربما لم يكن له سبيل آخر سوى إغلاق مرسى أكادير وترحيل كثير من سكان إقليمه إلى الصويرة".[9]

إلا أنه بالرغم من إجماع كل المصادر التاريخية على ارتباط تأسيس المدينة بالمولى محمد بن عبدالله سنة 1765، إلى أنها تختلف حول دوافع ذلك، ويمكن إجمال الاختلاف في موقفين:

*__الأول__: هو أن الملك بادر إلى ذلك من اجل آن يقضي على التواجد الأوربي وبالتالي تحصينها للدفاع عنها.

*__الثاني__: يذهب إلى القول بان تأسيس المدينة جاء نتيجة سيطرة اكادير على مختلف التجارة المغربية أنداك، الأمر الذي دفع السلطان محمد ابن عبدالله إلى تأسيس مدينة تزاحم اكادير على سيطرتها التجارية وتنافسها.

ويقول الناصري بصدد تأسيس المدينة "تم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائة وألف ...سار محمد ابن عبدالله إلى ناحية الصويرة بقصد عمارتها وبنائها، فوقف على تخطيطها وتأسيسها وترك البنائين والملة بها "[10]، وبعد ذلك أصبحت للصويرة مكانة داخل محيط المدن المغربية الأخرى إذ اشتهرت بأنها مدينة حصينة.

اتفقت جل المصادر والكتابات التاريخية على أن مدينة الصويرة عرفت انطلاقة جديدة لبنائها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر (1178[11] هـ. الموافق ل 1760م) على يد السلطان العلوي محمد بن عبدالله بن إسماعيل في إطار اهتمامه المتزايد بالسواحل المغربية المطلة على المحيط الأطلنتي، ووقف على تخطيطها الذي أعده المهندس الفرنسي تيد وركورنيي[12]TedorCornit، إذ حاول أن يضع لها تصميما مطابقا لمدينة سان مالو الفرنسية.

وبعد ان عجز هذا الأخير مواصلة الإشراف على بناء المدينة خلفه المهندس الانجليزي احمد العلج سنة 1786 لإتمام البنيات الأخرى[13]. لذلك شكلت فترة حكم السلطان محمد بن عبدالله منطلقا لدينامية جديدة لمدينة الصويرة، تهدف إلى توفير الفرصة الأولى للتجمعات السكنية الموجودة بالمدينة.

الخريطة رقم 2: مراحل التوسع الحضري للمدينة إلى حدود فترة الحماية

الخريطة رقم 3:التوسع الحضري لمدينة الصويرة إلى حدود سنة 2018

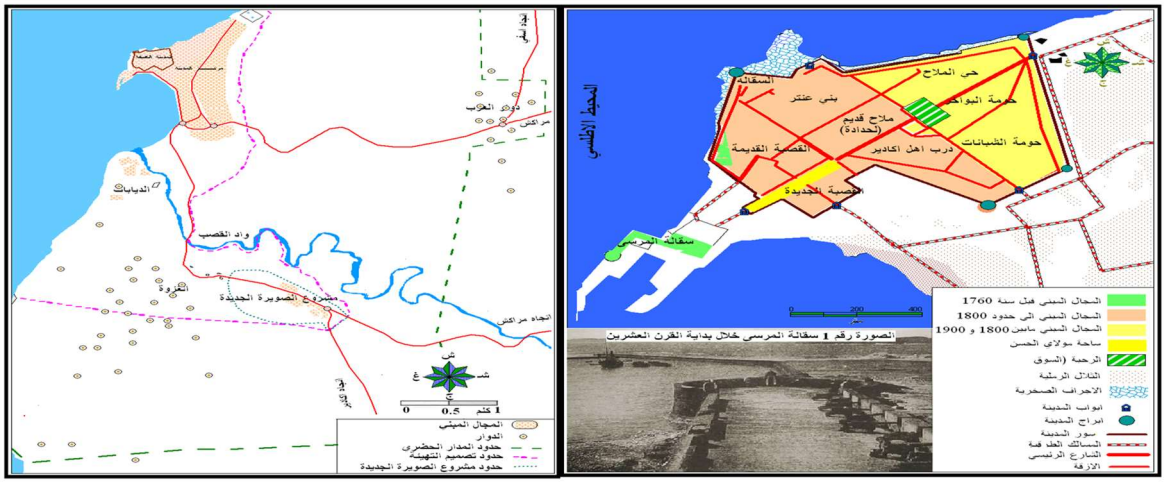

2- الصويرة: نمو ديمغرافي متزايد ونسيج عمراني متنوع

2-1 المؤشرات الإحصائية للدينامية السكانية بالصويرة

شكلت مدينة الصويرة ملاذا مغريا للمهاجرين القرويين على مر التاريخ وقبلتهم الدائمة. فقد استقطبت أفواجا من اليهود الذين لعبوا دورا هاما في تاريخ المدينة وانتعاشها. وخلال مرحلة الحماية، استقرت بها جالية أوربية كبيرة أدى وجودها إلى نشوء ما يمكن أن نسميه بثنائية المركز التي ميزت جل المدن المغربية القديمة. وقد شهدت الصويرة بعد الاستقلال طفرة ديمغرافية متزايدة نتيجة لقوة التمدين والتحولات الاقتصادية والسوسيومجالية التي عرفتها كما هو موضح في الجدول اسفله.

الجدول رقم 1: تطور عدد سكان مدينة الصويرة ونسبة تزايدهم السنوية

السنة	عدد السكان	معدل النمو
قبل سنة 1926*	18401نسمة	*
ما بين: 1926-1931*	14636نسمة	-4.48
ما بين: 1931-1936*	15166نسمة	0.71
ما بين: 1936-1960*	26392 نسمة	2.34
ما بين: 1960-1971**	32465 نسمة	2
ما بين: 1971-1982**	46858 نسمة	2.63
ما بين: 1982-1994***	56074 نسمة	2.43
ما بين: 1994-2004***	69493 نسمة	2.2
ما بين: 2004-2014***	77,966نسمة	2.1

المصدر:*** الإحصاءات العامة للسكان والسكنى، **امندوبية للإسكان والتعمير بالصويرة.+ *نشوي مصطفى. جيواستراتيجية منطقة الصويرة بين معطيات الظرفية والإمكانيات الذاتية "الصويرة الذاكرة وبصمات الحاضر" ص 263.

وهكذا بلغ عدد سكان المدينة حسب إحصائيات المندوبية السامية للتخطيط لسنة 2014، أزيد من 77966نسمة، يتوزعون فوق مساحة تزيد عن 400 هكتار، بكثافة تصل إلى194.91ن/ هـ.مع تباينات هامة بين أحياء المدينة، حيث تعرف المدينة القديمة أكبر كثافة بأزيد من 600 نسمة في الهكتار، وأضعفها بالدواوير الهامشية. ونتيجة للتزايد الطبيعي والتوافد السكاني وترقية المدينة إلى عاصمة إقليمها، وكذا استقطابها لمشاريع اقتصادية متنوعة، فقد شهد إطارها المبني تحولات عميقة وامتدادا مجاليا متزايدا سواء تعلق الأمر بالسكن أو بالتجهيزات العمومية أو الأنشطة الاقتصادية.

2-2 أنماط سكنية متنوعة مع سيطرة للسكن الاقتصادي

2-2-1 السكن التقليدي: يتركز السكن التقليدي داخل الأسوار، على مساحة تقدر بحوالي 32 هكتارات، ويتشكل من مساكن تتكون من السفلي +1 او2 يعتمد تصميمها على فناء داخلي تتوزع حوله غرف ذات سقف مرتفع وتختلف مساحتها حسب وظائفها، وعلى نوافذ صغيرة ملامسة للسقف إضافة لوجود ممرات ضيقة، وإدراج في الزوايا تصل بين طوابق المسكن. أما مواد البناء فتتكون من الحجر والجير، والخشب الذي يستعمل في السقف،

كما يمكن تصنيف بنايات السكن التقليدي داخل النسيج العتيق إلى نوعين أساسيين:

- **السكن التقليدي ذو طابع محلي**: ويتكون من البنايات السكنية ذات الطابعين الإسلامي واليهودي، وهي منتشرة في كل من حي الملاح ودرب أهل اكادير، البواخر، الشبانات وبني عنتر. بالإضافة إلى بعض النماذج في القصبة القديمة.

- **السكن التقليدي ذو الطابع الأوربي**: ويتمركز في كل من القصبة القديمة والقصبة الجديدة على شكل منازل فخمة، كان يسكن فيها كبار التجار والأعيان تتخذ فيها الغرف شكل مربعات عريضة ومتسعة، تعتمد على الواجهات الخارجية حيث تتوزع فيها النوافذ توزيعا منتظما.

وهكذا يمكن القول أن الخصائص المعمارية الأساسية للبنيات السكنية للمدينة القديمة، سواء أكانت كبيرة أو متوسطة أو صغيرة تشترك فيها مكونات معمارية تقليدية، إما ذات طابع مغربي (إسلامي/يهودي) أو أوربي.

يشكل النسيج العتيق البنايات الموجودة داخل الأسوار، وتمثل الأبواب نقط الاتصال ما بين النسيج العتيق وباقي أجزاء المدينة. وتتكون من حي الملاح، القصبة، درب أهل اكادير، حي بني عنتر والشبانات، داخل كل حي يتكون من عدة حومات، تتشكل من مساكن متراصة، تخترقها أزقة ضيقة، اغلب مساكنها تتكون من السفلي زائد طابق واحد أو اثنين.

الخريطة رقم4: توضح أحياءالمدينة القديمة

المصدر: عمل شخصي 2023

2-2-2 هيمنة السكن الاقتصادي

يتكون هذا النوع من السكن، على البنايات التي تنتظم فيها الحجرات حول الفناء الذي قد يكون مفتوحا أو مغلقا في حالة البناء، وتكون أبعاد هذه البناية منتظمة تتراوح مساحتها الكاملة بين 60 متر^2 120 متر^2 ويضم من طابقين فأكثر. ويغطي هذا النوع من السكن أكبر مساحة سكنية بالمدينة، فهو يضم الأحياء داخل مركز المدينة وخارجها. وينقسم بدوره الى **دار المغربية**

(ينعت أيضا بالشكل العصري للسكن التقليدي) ودار مغربية عصرية على شكل تجزءات سكنية تم السكن الاقتصادي العمودي

3-2-2 ارتباط الفيلات بالفئات الميسورة

يمتد هذا النوع من السكن بكل من حي الثلال و بركة محمد، اللذان يعتبران الحي الأكثر تهوية على صعيد المدينة، بالإضافة إلى منطقة الغزوة التي تضم فيلات ذات مساحات مختلفة، تغلب عليها فيلات متوأمة على شكل شريط.

3-2 تعرف المدينة تفاوت على مستوى التجهيزات الأساسية

إن الدينامية المجالية التي أضحت تعيشها المدينة، تتطلب موارد مالية مهمة، للتغلب على التحديات المطروحة أمامه، خاصة فيما يتعلق بربط ألأحياء بقنوات الصرف الصحي. وإعادة هيكلة البعض منها والربط الشامل بالماء الصالح للشرب.لكونها تعرف تعميم شبه تام للماء الصالح للشرب والإنارة العمومية وهشاشة لشبكة التطهير وبعض المسالك الطرقية.

يتبين من خلال ما سبق أن النشأة المبكرة لمدينة الصويرة، تعود في نظر العديد من المؤرخين لعاملين أساسيين يرتبطا بالموقع الاستراتيجي للمدينة (تواجدها على المحيط الأطلسي) البعد التجاري باعتبار المدينة محطة التبادل التجاري مع الخارج.

وبفضل هذه العوامل تنوعت التركيبة البشرية بالمدينة منذ القديم، حيث خضعت للاحتلال الفينيقي والروماني، ثم نزحت إليها جالية يهودية بأعداد مهمة على الصعيد الوطني، قبل أن يستوطنها المعمرون خلال مرحلة الاستعمار، ولا ننسى بطبيعة الحال الساكنة الأمازيغية والعربية بالمدينة.

وإذا كانت المدينة العتيقة قد اتخذت شكلها النهائي خلال المرحلة العلوية، فقد مرّت بمراحل تاريخية مهمة منذ الأدارسة، ولعبت في كل هذه المراحل دورا فعّالا في تاريخ الدولة المغربية كما أنها شكلت عمقا استراتيجيا وملجأ سياسيا وكانت تتأرجح بين عالمها الحضري الصغير المنعزل ذي الثقافة الحضرية الأصيلة، وبين مدينة في أوج رخائها وتطورها. وهو ما أثّر بشكل واضح على معمارها الديني.

II.المعالم الدينية تراث معماري يجب تثمينه

تعتبر المدينة منظومة حية و يتجلى ذلك من خلال التراتب الهرمي، كتراتب عمارة سكنية إلى مجموعة من العمارات، وتراتب حي إلى مجموعة من الأحياء، لتكون لنا المدينة.و لمعرفة مكونات المنظومة وجب البحث في تفرّعاتها مثل العمارة الدينية، لكونها تساهم في تنظيم المجال الحضري لمدينة الصويرة.

1 – المعالم الدينية الإسلامية بالصويرة تمتاز بين التعدد والتنوع

تشمل العمارة الدينية العديد من المؤسسات مثل المساجد والتي كان الدافع إليها غالبا طبع البلاد التي فتحها المسلمون وكذلك المدن التي قاموا بإنشائها بالطابع الإسلامي كما فعل عقبة بن نافع الفهري الذي بني جامع القيروان (50هـ/670م)، وحنش بن عبدالله الصنعاني وأبو عبد الرحمن الحبلي وأسّسا جامع مدينة قرطبة والتي فتحت سنة 92هـ/911م[14]، ومن هذه المؤسسات أيضا المدارس والكتاتيب والخانقاوات والأضرحة والأربطة، والزوايا التي تعود بالنفع على الناس والمجتمع بأكمله.

1-1 المساجد: معالم دينية تختلف هندستها من مسجد لآخر

يعتبر المسجد لفظة إسلامية لم تكن معروفة قبل ظهور الإسلام فالاسم والمسمى به قد جاءا مع ظهور الإسلام فالمسجد هو كل مكان يسجد ويتعبد فيه (15). إذن فهي الكلمة التي استخدمت للدلالة على أماكن العبادة الإسلامية في البداية. وتتميز المساجد المتواجدة بالنسيج العتيق لمدينة الصويرة والتي تعود للفترة العلوية بمجموعة من الخصائص المعمارية يمكن إجمالها فيما يلي:

- ✓ **الشكل الخارجي**

المنارة والتي يتراوح علوها مابين 10 و20 متر

القبة الهرمية 'charpart' مزينة بأشكال خزفية يصطلح عليها بالقرمود

- ✓ **الشكل الداخلي**

غالبا ما يتخذ تصميما على شكل علامة زائد + بمدخل رئيسي يتميز بالضخامة ومقصورة أو قاعة صلاة تتألف من محراب، إضافة إلى عقود (اقواس) وأعمدة متوازية مع جدار القبلة. ثمّ صحن المسجد المكشوف وتتوسطه غالبا نافورة تستعمل لغرض الوضوء. ويوجد في هذا الصحن محراب مؤقت يوظف في أوقات الصيف. ناهيك عن مراحيض الوضوء، التي تبنى خارج المساجد وذلك حفاظا على قدسية وطهارة المسجد 'نموذج مكان الوضوء بمسجد مولاي يوسف'. وللإشارة فإن المدينة تتكون من نوعين من المساجد وهي:

.. المسجد الجامع: تودي فيه الصلوات الخمس بالإضافة إلى فريضة الجمعة وصلاة العيد. ويتمركز عادة في القلب النابض للمدينة.

.. مسجد الحي: تؤدى فيه الصلوات الخمس فقط.

وكان المسجد ولا يزال في بعض المدن يمثل القلب النابض لها حيث يقام حوله الأسواق والحوانيت ويتجمع حوله الباعة والتجار وتدور عمليات البيع والشراء وتعقد الصفقات كما أن المسجد كانت له أهميته الحربية حيث كانت تعقد فيه الألوية للجهاد كما كانت له أهمية سياسية حيث كان يتم فيه البيعة للخلفاء والأمراء وكان يتشاور فيه المسلمون في أمور دينهم ودنياهم[16] كما كان يعقد فيه مجالس القضاء والعلم.

1-2 الزوايا والأضرحة موروث حضاري أصيل يجب تأهيله

تختلف الغايات من إنشاء الزوايا والأضرحة بين ما هو ديني وما هو روحي ورمزي واجتماعي، حيث ترتبط كل زاوية بمذهب او طائفة صوفية كالتيجانية وا لركراكية والعيساوية والدرقاوية والبوتشيشية....

تزخر مدينة الصويرة بالعديد من الزوايا والأضرحة والتي وصل مجموعها إلى عشرون ضريحا وزاوية، موزعة على المدار الحضري للمدينة و تتركز غالبيتها بالمدينة العتيقة لكونها النواة الأولى للمدينة ومنبع حضارتها.

1-2-1 المميزات المعمارية العامة للزوايا والأضرحة بالمدينة

تتكون الزوايا والأضرحة من ثلاثة عناصر أساسية وهي كالتالي:

- ✓ قاعة الضريح

- ✓ قاعة للصلاة
- ✓ الصحن وهو مكان (متسع تتوسطه نافورة في الغالب)

إضافة إلى أروقة إضافية كالمكتبة، وأرشيف الزاوية، وألواح بأسماء الشيوخ اللذين ترأسوها.

2-2-1 – الزوايا تراث روحي، وثقافي، وعلمي مركّب:

تزخر مدينة الصويرة بالعديد من الزوايا وصل تعدادها إلى أربعة عشر زاوية، وتتمركز غالبيتها داخل النسيج العتيق للمدينة وهي كالآتي: الزاوية الناصرية، التيجانية، الجازولية، القادرية، الكتانية، الركراكية، الدرقاوية، الرمى، العساوية، الحمدوشية، القادرية البوتشيشية، الغازوية، دار الضمانة، وزاوية سيدنا بلال.

أ – الزاوية القادرية: تلعب الزاوية القادرية دورا هاما في خلق إشعاع روحي ديني داخل المدينة وخارجها كما تساهم في ضمان الأمن الروحي ونشر الدين الإسلامي المعتدل ونبذ جل أشكال التطرف، وتكريس الاخلاص للتوابث الدينية والوطنية وترسيخ أصول المواطنة الصادقة، مع تشجيع العلم والمعرفة مند زمن بعيد كما جعلت المدينة تمتاز بالحس الوطني ومنبع للتسامح والحوار بين الحضارات والثقافات والأديان.

ب – الزاوية الناصرية: تعتبر الزاوية الناصرية من اهم الزوايا التي شيدت بالمدينة في عهد الدولة العلوية وساهمت في تقوية المجال الاجتماعي والقافي والعلمي بالمدينة بفضل ثلة من الشيوخ الدين تعاقبوا على الإشراف والتسيير والأخد بزمام الأمور من اجل الدفاع عن السنة النبوية ومحاربة البدع والانحرافات العقدية والسلوكية والمساهمة في نشر العلوم الدينية والحفاظ عليها

ج – الزاوية الركراكية: تلعب الزاوية الركراكية العديد من الوظائف دينية سياسية اقتصادية ثقافية، حيث كانت مؤسسة علمية يؤم إليها الناس لتلقي العلوم الدينية، وكانت أيضا إطارا تنظيميا للقبائل في تسيير شؤونها السياسية والتنظيمية بالإضافة إلى الدور الاقتصادي الذي تلعبه في تحريك عجلة اقتصاد المنطقة، كما تحضى بالأهمية الثقافية في تلقين العلم وأصوله. ولها عدة فروع تتمركز غالبيتها بمنطقة الشياظمة. ويتم زيارتها سنويا في إطار ما يسمى بالدور الركراكي الذي ينطلق من زاوية بن احميدة مرورا بأربعة وأربعين محطة من الأضرحة والأولياء في ظرف أكثر من شهر، وينطلق الدور عادة يوم الخميس أو الجمعة من الأيام العشر الأخيرة من شهر مارس، وهنا يمكن القول ان المقدس يلعب دورا مهما جدا في تنظيم المجال وحفظ الأمن والاستقرار خاصة وان المنطقة كانت معروفة في فترات تاريخية سابقة في صراعات حول المراعي ونقط الماء...

2-2-1–تعتبر الأضرحة رموزا للذاكرة المحلية

الضريح بناء يضمّ رفات شخصية بارزة سلطان أو أمير أو رجل صالح أو إنسان له مكانة تدعو إلى تخليد ذكراه ويسمى أحيانا تربة أو مشهد أو مدفن وهو من الأماكن التي عني المسلمون بعمارتها حيث يدفن فيها أولو الفضل من المسلمين. وتخطيط الضريح عبارة عن حجرة مقبّبة مستطيلة أو مربعة[17] تحلى أركانها من الداخل بمقرصنات وشاعت القباب المخروطية، وقد تكون هذه الحجرة منفردة أو ملحقة بالمسجد أو بالمدارس أو ملاصقة لأي منهما وربما يكون الضريح سببا في إنشاء مسجد متعدد المآذن فخم البناء تحيطه البرك والحدائق.

يتمركز بمدينة الصويرة ستة أضرحة وهي ضريح سيدي علي بن عبدالله، وعبد الدائم، وسيدي ابراهيم اوعيسى، وسيدي امكدول، وسيدي حراز، وسيدي الحسن او لحسين. وسنركّز على ضريح سيدي مكدول لكونه معلمة تاريخية عريقة، فهو رمز

من رموز تاريخ مدينة الصويرة، حيث أن هناك من يقول بأنه من أصول يهودية وآخر يرجعه إلى السلالة الركراكية ومهما يكن أصل صاحب هذا الضريح فان هذه المعلمة بذا نسيجها المبني يتعرض للاندثار السقوط مما يستوجب اعادة ترميمه لكي يبقى ذاكرة حية للمدينة.

وهكذا يمكن القول ان هذه المعالم الدينية المختلفة والمتنوعة ترتبط غاياتها الروحية والرمزية بما تلعبه من تأثير في نفوس مرتاديها والراحة التي توفرها لهم وكذا الأذكار التي تتلى وتردد والقراءات التي ترتل بداخلها والتي تؤثر بشكل ايجابي على كل من يتوجه إلى هذه المعالم. الأمر الذي جعلها تبقى مكان مقدس عند العديد من الساكنة

2 المعالم اليهودية شواهد مادية لفترة تاريخية سابقة.

تعتبر المعالم الدينية شواهد مادية تابثة وحية تؤرخ لتواجد المجموعات اليهودية بالمدينة والتي كانت تستوطن حي الملاح وهو الحي الخاص بهذه الديانة والذي يميزها عن باقي الديانات الأخرى. وقد ارتبط تواجد اليهود داخل المدينة للتجارة وصياغة الذهب والفضة، فقد برعوا في المعاملات التجارية لذالك وظفهم السلطان سيدي محمد بن عبدالله ضمن تجاره الخاصون.

فيما يتعلق بالمعالم الدينية يمكن الحديث عن مجموعة من المعابد منها معبد سيمون عطية وستال الكحل ومعبدَ حاييم بينتو المتواجد قرب المقبرة اليهودية. وهي نماذج للاماكن التعبدية لليهود من أصل 32 معبدا المتواجدة بالمدينة حسب ما أورده الباحث عمر لخضر، في كتابه"MOGADOR: mémoire d'une ville" وتتألف التركيبة المعمارية لهذه المعابد من:

- ✓ مدخل رئيسي
- ✓ قاعة للصلاة
- ✓ فناء يتوسط المعبد
- ✓ اروقة مختلفة الوظائف التعبدية

تعتبر معلمة سيمون عطية إحدى أهم المعالم التي تعود لليهود، وشهدت مؤخرا أشغال ترميم وإعادة رد الاعتبار من طرف وزارة الثقافة اهلتها لتصبح مركزا للتعريف بالثرات العبري المغربي

إلى جانب المعابد اليهودية ومساجد المسلمين، الموجودة بكثرة داخل أسوار المدينة العتيقة، توجد كنيسة مسيحية كبيرة بالقرب من الكورنيش، أبوابها مفتوحة باستمرار تزينها الورود، ويحرسها عنصر من القوات المساعدة، ويمارس فيها المسيحيون شعائرهم الدينية دون أن يزعجهم أحد.

وبالتالي، فمدينة الصويرة بناء على ما تقدم ذكره، تعد مجالا للتعايش والتسامح بين الديانات والحضارات والثقافات دون أي صراعات طائفية او خلافات عقائدية.

3– العمارة الدينية سند إضافي لإنعاش السياحة بالصويرة

1.3 العمارة الدينية والتوجه السياحي

شكلت مدينة الصويرة فضاء رحبا، وأرضية خصبة لاحتضان عدد مهم من المواسم، التي لها صبغة دينية وشعبية فولكلورية، إلى جانب طابعها التجاري وبعدها الثقافي التاريخي المرتبط أساسا بمعطيات وخصوصية المنطقة وعادات وفنون أهاليها، فالمواسم

تلعب دورا أساسيا في تنشيط السياحة الداخلية لاكتشاف كيفية تنظيم هذا الحدث التقليدي الذي يكرس ثقافة المدينة. الشيء الذي اكسبها رهانا ثقافيا وبعدا فنيا مهما وتراء اجتماعيا متنوعا.

يعد موسم ركراكة من أهم المواسم الأكثر شهرة، اذ يحيل على عمق تاريخي عريق وبعد ديني معتدل ويساهم في تنشيط ا لحركة الاقتصادية وجلب أفواج سياحية في مختلف أنحاء المغرب، خاصة ساكنة الإقليم القاطنة في المدن المغربية الأخرى.

كما يعتبر موسم الهيلولة مناسبة لحج آلاف من الجالية اليهودية للاحتفال بالديانة اليهودية والتبرك بالحاخامات والربيين اليهود و أوليائهم المقدسين وكذا إحياء صلة الرحم مع هذه الطائفة اليهودية المقيمة بالمغرب، إذ يساهم هذا الموسم السنوي في تنمية مداخيل السياحة الدينية بالمدينة

كما يعطي الفن المعماري التقليدي لهده المعالم الدينية جمالية خاصة تجعل المدينة مجالا مستقطبا للسواح من مختلف بقاع العالم، وساهم في تحقيق مداخيل واعتمادات مالية هامة وتحريك عجلة الاقتصاد السياحي إلا أنها تعاني من مظاهر الإهمال.

3. 2 المعالم الدينية: أية استراتيجيات للحفاظ عليها

بناء على الملاحظات الميدانية لبعض المعالم الدينية يتضح جليا إنها بدأت تعرف تدهورا لنسيجها العمراني نتيجة الظروف البيومناخية المرتبطة بارتفاع نسبة الرطوبة واستمرارية الرياح القوية بالإضافة إلى قلة الاهتمام من طرف بعض الفاعلين المعنيين مما يستوجب بالضرورة التدخل العاجل لإنقاذ هذا الموروث المعماري والثقافي العريق، ووضع مخطط استراتيجي هادف وفق مقاربة تشاركية وتشاورية مندمجة من اجل استرجاع مكانة هذه المعالم وإعادة هيكلتها.

خلاصة:

- وهكذا يمكن القول ان هذه المعالم الدينية المختلفة والمتنوعة ترتبط غاياتها الروحية والرمزية بما تلعبه من تأثير في نفوس مرتاديها والراحة التي توفرها لهم وكذا الأذكار التي تتلى وتردد والقراءات التي ترتل بداخلها والتي تؤثر بشكل ايجابي على كل من يتوجه إلى هذه المعالم. الأمر الذي جعلها تبقى مكان مقدس عند العديد من الساكنة مما يستدعي الحفاظ عليها
- إن مدينة الصويرة بناء على ما تقدم ذكره، تعد مجالا للتعايش والتسامح بين الديانات والحضارات والثقافات دون أي صراعات طائفية او خلافات عقائدية.

الكلمة المفتاحية: المدينة، المدينة القديمة، الصويرة، التراث المعماري، العمارة الدينية، المعالم الدينية، الذاكرة المحلية

الهوامش:

1- OTTMANI Hamza Ben Driss, 'MOGADOR, une cité sous les alizés, éditions la porte,P:15

2-BENCHEMSSI Jawad. Essaouira, essai de revalorisation de l'espace front de la mer. 1997, P: 134

3-زمامة عبد القادر، " الصويرة وإقليمها في ذاكرة التاريخ"، "الصويرة الذاكرة وبصمات الحاضر"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر، أعمال الأيام الدراسية 26-27-28- أكتوبر، 1990، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1994، ص 91.

4-مينة ا لمغاري مدينة موكادور السويرة دراسة تاريخية وأثرية، أطروحة دكتوراه الدولة، دار أبي رقراق للطباعة والنشر حسان الرباط 2006 ص 75.

5-البيضاوية بلكامل، " الصويرة في عصورها القديمة من خلال الكتابات التاريخية" "الصويرة الذاكرة وبصمات الحاضر"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر، اكادير، أعمال الأيام الدراسية 26-27-28- أكتوبر، 1990، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1994.ص42

6-احمد بنجلون، " اثر الجزيرة الصغيرة في تاريخ أسفي والصويرة" "الصويرة الذاكرة وبصمات الحاضر"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر،اكادير، أعمال الأيام الدراسية 26-27-28- أكتوبر، 1990، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1994.ص 99

7-Soufianeelkaiassi et HatimSkiredj ; promenade dans la mémoire d'une ville ; un musée d'identité pour la ville d' Essaouira, Thèse de D.E.S.S, En aménagement et urbanisme, I.N.A.U 1998, P11.

8- مينة المعاري مدينة موكادور- السويرة: دراسة تاريخية وأثرية مطبعة أبو رقراق،الرباط،2006 ص.89

9- احمد ينجلون "أثر الجزيرة الصغيرة في تاريخ أسفي والصويرة"المرجع السابق" ص: 105.

10- أبو العباس احمد بن خالد الناصري، "كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى"، دار الكتاب الدار البيضاء، الجزء الثامن، 1956، ص 19.

11- محمد بن الطيب القادري،"كتاب نشر المثالي"، مرجع سابق،ص 94.

12- محمد ابن السعيد الصديقي،"إيقاد السريرة لتاريخ الصويرة"،مرجع سابق الصفحة 16.

13- محمد ابن السعيد الصديقي،إيقاد السريرة لتاريخ الصويرة، المرجع نفسه ص 61

14. خالد محمد معاذ كرّام، العمائر الإسلامية وأشهر معالمها، شبكة الألوكة. www.alukah.netبتاريخ: 30 يونيو 2019، ص: 5 . 6 بتصرف.

15- عبد الرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية ص 381: 383

16. خالد محمد معاذ كرّام، العمائر الإسلامية وأشهر معالمها، شبكة الألوكة. www.alukah.net بتاريخ: 30 يونيو 2019. ص: 12، بتصرف.

17. خالد محمد معاذ كرّام، العمائر الإسلامية وأشهر معالمها، شبكة الألوكة. www.alukah.net بتاريخ: 30 يونيو 2019. ص: 60، بتصرف.